الحفاظ على الشخصية الوطنية ، الدفاع عن الخصوصية المحلية ، الافتراق عن المستعمر والتمايز عنه ، وفي هذه المعركة رفع الانسان الافرو ـ آسيوي راية الاسلام والبوذية والفيدانتا وتحصن بالمثيولوجيا البدائية ، اي ان الصراع القومي سار على ارضية دينية غالبا ، وتحرك مزودا بالشعور الديني الذي يستحيل في شروط معينة الى قوة جماعية وتوحيدية تؤطر المضطهدين لمواجهة المضطهدين ٠

ساعدت الشروط الاجتماعية ـ التاريخية في آسيا وافريقيا على انتشار نفوذ الايدولوجية الدينية ، فديانات هذه البلدان لا تخضع لمركز ديني اساسي كما هو حال المسيحية في الغرب ، بل هي ايدولوجيا يومية تعيشها الجماهير وتعيش فيها ، ايدولوجيا نظرية وعملية ، وقناة اساسية لنقل الافكار الاجتماعية والسياسية ، يضاف الى ذلك قلة عدد الطبقة العاملة وضعف تنظيمها في هذه البلدان ، وحداثة الاحزاب الماركسية فيها ، ومحدودية التقاليد العقلانية ٠ وهكذا نرى ان ظاهرة التدين في ايدولوجيا حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا وافريقيا ، نتيجة للشرط الاقتصادي ـ الاجتماعي وشاهد عليه ، وفي هذا الشرط يغيب التمايز بين العلاقات الطائفية ـ الدينية والعلاقات الطبقية والقومية ، الى درجة تصل فيها هذه العلاقات الى حدود التطابق احيانا ٠

ادت الممارسة الاستعمارية الى بعث الماضي والتشوق الى « الاصول الاولى » فغدا الدين موئلا وحصنا ، واصبح التراث الروحي رمزا للعزة القومية ، والاصالة القومية ، ووسيلة للتعبير عن المشاعر الوطنية ، ولعب هذا الموقف من التراث الروحي دورا ايجابيا معينا في معركة التحرر الوطني ضد الظلم الاستعماري ، أضحى « الاجلال الاعمى للماضي جزءا فعالا من الوطنية » (٦)٠

عاش الدين دوره في معركة التحرر الوطني ، وعاش ايضا تناقضه مع التطور الاجتماعي والسياسي ، واذا كان قد بلغ احيانا حدود الاظلامية والتعميم والتواطؤ ، فانه قد شارف في احيان اخرى حدود العقلانية والانارة ٠ وبشكل عام عاش الدين تناقض الواقع وتناقضه الخاص من حيث هو جزء عضوي من هذا الواقع ٠ لعب الدين الاسلامي دورا قوميا في نضال الشعب الجزائري والمصري والباكستاني ، وكان للدين البوذي دوره كذلك ، حيث « شكل الباندايت دايناناد في الهند رابطة لحماية البقر ، واعطى شعار « الديانة الهندية للهنود والسيادة على الهند للهنود » الحركة القومية الجديدة دفعة من التطرف الديني الذي لا يقبل المهادنة ، وكان من بين ردود الفعل التي نجمت عن هذه الحركة طغيان موجة من الانبعاث الديني القومي لدى المسلمين (٧) ٠ كما قام الدين بدور هام في النضال القومي لدى الجمعيات البوذية في بورما وسيلان وكمبوديا حيث شاركت الجماعات البوذية بشكل نشيط وريادي في النضال التحرري منذ بداية القرن العشرين ٠